صحائف مطوية

من تاريخ الحرب الكبرى

الامبراطورية النمسوية والصلح المنفرد[1]

اوقدت الحكومة النمسوية جذوة الحرب الكبرى الكامنة تحت الرماد ببلاغها النهائي الضيف الى الحكومة الصربية على اثر مقتل الارشيدوق فرديننذ وزوجته في سراجيفو . لذلك لم يكن في الامكان ان تعقد صلحاً منفرداً مع الحلفاء ما زال الامبراطور فرنسوى جوزف حيًّا ، على انهُ حينما توفي وخليفتهُ ابن اخيه الامبراطور شارل في ٢١ نوفمبر ١٩١٦ لاحت بوارق الامل في عقد صلح منفرد . وذلك لان الارشيدوق شارل لم يكن مسؤولاً عن ايقاد نار الحرب بل لم يكن لهُ مقام كبير في عائلة هبسبرج قبل ان يقتل الارشيدوق فرديننذ ولذلك يبذل همهُ حين اعتلائهِ عرش الامبراطورية لتمهيد السبيل الى السلام

وكان يصعب كثيراً مفاوضة الحلفاء سرًّا لان الحرب شلّت كل سبل المفاوضات الفردية والرسمية . لكن زوجتهُ الامبراطورة زيتا كان لها اخوان يحاربان في جيوش البلجيك فاستخدمها لتبادل الآراء في شأن صلح منفرد مع الحلفاء

والامبراطورة زيتا واخواها البرنس سكست والبرنس زافيه من عائلة بوربون پارما فرع عائلة بوربون الفرنسوية الشهيرة . وكان زعماؤها امراء دوقية پارما بايطاليا الى ان طردوا منها سنة ١٨٥٩ فاختاروا النمسا مقراً لهم لكن البرنس سكست واخاهُ كانا قد قضيا عشر سنوات في پاريس ذاهبين الى ان كلّ بوربوني يجب ان يكون فرنسوياً . اما اختهما الامبراطورة زيتا فاقترنت بالارشيدق شارل سنة ١٩١١

حينما نشبت الحرب كان البرنس سكست واخوهُ البرنس زافيه في شودزو مقر عائلتهما بالنمسا وكان في نيتهما السفر الى القوقاس لانهما كانا مغرمين بالاسفار . فمزما للحال ان يعودا الى فرنسا ولم يؤذن لهما بمغادرة النمسا الاَّ بواسطة صهرهما الارشيدوق شارل وكان حينئذٍ قد صار وليّ العهد فوصلا باريس بعيد انهزام الفرنسويين في معركة شارلروى . فحرّما ان ينضما الى الجيش الفرنسوي ثم الى الجيش الانكليزي فرفض طلبهما في الحالتين واخيراً قُبلا في الجيش البلجيكي برتبة

(١) عن مجلة « السكفري » العلمية

وكيلي ملازمين وكان البرنس سكست كل هذه المدة ينكر في امر صلح منفرد بين النمسا والحلفاء يحفظ وطأة المانيا وحليفاتها عن فرنسا التي يحبها ويحفظ الامبراطورية النمسوية من التضعضع فسنحت لهُ الفرصة حينما علم بموت الامبراطور فرنسوى جوزيف في نوفمبر ١٩١٦ . وكان رئيس الجمهورية الفرنسوية قد اهدى اليهِ والى اخيهِ وسام « صليب الحرب » في شهر مايو من تلك السنة . وقضيا اجازتهما في خريف ١٩١٦ بباريس ففاتح البرنس سكست المسيو ده فريسينيه من الوزارة الفرنسوية بما يخالجهُ من امر الصلح المنفرد قائلاً من المهم جدًّا فصل النمسا عن المانيا فتتبعها بلغاريا وتركيا ويتم للحلفاء حينئذٍ قهر المانيا

اما الامبراطور شارل فلم يكد يعتلي العرش حتى نشر رسالة قال فيها « اودّ ان ابذل جهدي لازالة فظائع الحرب واهوالها بالسرعة القصوى » . بعد ذلك بايام قلائل كتبت دوقة پارما والدة البرنس سكست الى ابنها من النمسا تطلب مقابلتهُ فطلب الاخوان من ملك البلجيك بان يأذن لهما في ذلك ففعل واجتمعت الام بابنيها في نيوشاتل في ١٩ يناير ١٩١٧ بمعرفة وزارة الخارجية الفرنسوية فاخبرتهما ان الامبراطور يودُّ عقد الصلح وانهُ يطلب الى الاميرين موافاتهُ سرًّا الى فينا للمناقشة في هذا الامر . فاذا لم يستطيعا ذلك ارسل رجلاً يثق بهِ ليجتمع بهما في سويسرا

فرجع الاميران الى باريس لمقاوضة اولي الشأن فيها فقيل لهما ان يستمرّا في المفاوضة فعادا الى نيوشاتل في فبراير واجتمعا بالكونت اردودي في ١٣ و٢١ فبراير فسلمهما رسائل من والدتهما والكونت اشرتين رئيس وزراء النمسا والامبراطور شارل وجميعهم يطلبون اليهما ان يجيئا فينا واجتهد الكونت ارودي ان يقنعهما قائلاً « نصف ساعة مع الامبراطور تغني عن ساعتين مع احد مثليهِ »

ولم يعلم بهذه المفاوضة من النمسويين سوى الامبراطور والكونت اشرتين ودوقة پارما والدة الامبراطورة والكونت اردودي ومن الفرنسويين المسيو بوانكاره والمسيو كامبون السكرتير العام لوزارة الخارجية ثم اطلع المسيو پريان رئيس الوزارة على وقائع الحال وابلغت حينئذٍ فرنسا بطريقة مبهمة خبر هذه المفاوضات

والقى البرنس سكست المسيو بوانكاره فكتب هذا الشروط التي يطلبها الحلفاء من الامبراطور شارل لعقد الصلح معهُ . ثم ذهب الى سويسرا واجتمع فيها بالكونت اردودي الذي حثهُ ثانية على القدوم الى فينا لان في كثرة انتقاله بين سويسرا وفينا خطراً وقد يفتضح الامر فتعرف الحكومة الالمانية بهذه الاجتماعات فتطلب الى النمسا

ان ترسل جنودها الى حدود فرنسا تكذيباً لها فتضطر حكومتنا ان تفعل ذلك ويقضي على مفاوضاتنا قضاء مبرماً . وزد على ذلك فان الامبراطور يعد وعداً صريحاً انهُ يسمح لنا بمغادرة ڤينا حين تشاؤون مشمولين بالعناية والحراسة . فقبل الاميران ان يجيبا طلب الكونت

وفي ٢٠ مارس اعلماهُ بعزمها فغادرا سويسرا في ذلك المساء وقطعا الحدود بسهولة لان رئيس الحرس على الحدود النمساوية كان قد بلغهُ امر خاص من الامبراطور بان يأذن للكونت اردودي ومن معهُ بالمرور فوصلا ڤينا في ٢٢ مارس ونزلا في بيت الكونت . وحال وصولهما ذهب الكونت اردودي الى قصر الامبراطرة النمسويين في ضواحي ڤينا وسلم الامبراطور الرسالة التي كتبها البرنس سكست وفيها شروط الحلفاء

وعُيّن موعد الاجتماع بين الامبراطور والاميرين في مساء اليوم التالي فذهبا الى قصره في اتوموبيل مقفل وكانت الليلة حالكة السواد والثلج يتساقط فلم يدر احد بامرهما وتحادثا مع الامبراطور طويلاً فرأى الامير ان آراء الامبراطور شارل بشأن البلجيك والالزاس لورين والصرب تتفق مع آراء الحلفاء . اما من جهة المانيا فكان الامبراطور شارل ينوي ان يطلعها اولاً على المفاوضات اذا وصل مع الحلفاء الى اتفاق ما لانهُ يريد ان يلزم الشهامة في جميع معاملاته حتى يصح ان يعتمد عليه في جميع اقوالهِ وافعالهِ

ثم دخل الكونت تشرنين وقال انهُ من انصار عقد الصلح لكنهُ لم يفصح عن رغباتهِ وشروطهِ بالتدقيق . وقال الامبراطور ان الجواب النهائي يعطى للاميرين غداً . وزار الاميران الامبراطور في اليوم التالي وتلقيا الجواب النهائي وتمّ الاتفاق على ان يبقى كل ذلك سرًّا ثم غادرا النمسا الى سويسرا ومنها الى فرنسا فوصلا باريس في ٣٠ مارس . وكان الجواب الذي اخذاهُ من الامبراطور يحوي مطالب عادلة وخصوصاً ما كان منها متعلقاً بفرنسا وانكلترا

وصف الامبراطور في صدر جوابهِ شجاعة الفرنسويين واطرى بسالة جنودهم في الدفاع عن بلادهم . ثم قال « واني اؤيد بكل جهدي مستخدماً نفوذي الشخصي مع حلفائي مطالب فرنسا العادلة في الالزاس لورين » . وجاء فيهِ ايضاً ان البلجيك يجب ان تعاد اليها سيادتها وتعوّض خسائرها وان يحتفظ بسلامة صربيا وتمطى منفذاً على البحر الادرياتيك . اما من جهة الاستانة التي وعد الحلفاء روسيا بها

فالامبراطور شارل لم يقل قولاً صريحاً بسبب الثورة الروسية التي نشبت قبيل ذلك. كذلك لم يذكر شيئاً على الاطلاق من جهة ايطاليا . على ان البرنس سكست صرّح ان الامبراطور يسلّم بضم الترنتينو الى ايطاليا ولكنهُ لا يعد بتسليم تريستا ايضاً . وكتب الامبراطور رسالتهُ هذه باللغة الفرنسوية وبالقلم الرصاص وكان المأمول ان تقبل بها فرنسا وانكلترا ولكن كانت وزارة المسيو بريان قد سقطت في ١٩ مارس وتولى الوزارة الفرنسوية المسيو ريبو . وحينما اجتمع البرنس سكست بالمسيو بوانكاره واطلعهُ على شروط الامبراطور لم يحضر المسيو ريبو الاجتماع بل حضر المسيو كامبون السكرتير العام لوزارة الخارجية . فقال المسيو بوانكاره والمسيو كامبون ان شروط الامبراطور حسنة يمكن اتخاذها قاعدة للمفاوضات اذا ارضيت ايطاليا . واجتمع المسيو ريبو بالمستر لويد جورج في ١١ ابريل وقرأ لهُ جواب الامبراطور فتعهد المستر لويد بابقاء خبره سرياً

بعد ذلك لم يبقَ سوى مفاوضة ايطاليا. على انهُ لم يستحسن اخبار البارون سونينو رئيس الوزارة الايطالية بجواب الامبراطور حفظاً لكرامته بل قيل لهُ ان هناك مفاوضات لعقد صلح منفرد . وكان قد عُيّن اجتماع بين المسيو ريبو والمستر لويد جورج والبارون سونينو للبحث في الحالة الحربية وذلك في ١٩ ابريل . فاجتمع البرنس سكست بالمستر لويد جورج قبيل ذلك فوجدا انهما على اتفاق تام من حيث شروط الامبراطور اما البرنس فكان شاعراً بعظم المسؤولية الملقاة عليهِ في كتمان المفاوضات فطلب الى المستر لويد جورج والحّ عليهِ بكتمانها فاقترب منهُ المستر لويد جورج ورفع يدهُ كأنهُ يقسم وقال « اعد » وقد بَرّ بوعده

اجتمع الوزراء الثلاثة وتناقشوا في الحالة وحينما فضّ الاجتماع رجع المستر لويد جورج الى باريس فلقي البرنس سكست هناك فاطلعهُ على النتيجة اذ قال « ان الوزير الايطالي رفض عقد صلح منفرد معنا ان لم تمنح ايطاليا جميع مطاليبها » ولكنهُ (اي لويد جورج) كان يعتقد ان مجال المفاوضة لا يزال مفتوحاً اذا بقي البرنس متابعاً تقلب الاحوال في النمسا . اما المسيو ريبو فحسب ان المفاوضة قد فشلت وفي ٢٢ ابريل ارسل الى البرنس سكست جواباً باسم الحكومة الفرنسوية عن يد المسيو كامبون يرفض مطالب الامبراطور

مع ذلك بقي المستر لويد جورج والمسيو كامبون يحثان البرنس سكست على متابعة المفاوضات . فكتب الى الامبراطور يقول انهُ لم يُجَبْ الى مطاليبهِ الاولى لانهُ

لم يذكر شيئاً عن ايطاليا وفي ٢٥ ابريل اجتمع البرنس بالكونت اردودي في زُج بسويسرا وبسط امامهُ واقعة الحال وسلمهُ رسالة الى الامبراطور. فرجع اردودي من النمسا في ٤ مايو واجتمع بالبرنس في نيوشاتل بسويسرا ومعهُ رسالة من الامبراطور صرّح فيها انهُ مستعدٌ لعقد الصلح المنفرد سواء رضيت المانيا ام لم ترضَ . وانهُ على استعداد لترضية ايطاليا ولكن ليس الى الدرجة التي تطلبها

فعزم البرنس حينئذٍ ان يزور فينا ثانية فغادر نيوشاتل في ٥ مايو مع الكونت اردودي وبلغا فينا في ٧ منهُ واجتمع بالامبراطور في اليوم التالي فبحثا في المسألة بحثاً وافياً فقال الامبراطور ان النمسا تسلّم الترنتينو ولكن لقاء تعويض من ايطاليا مثل مستعمرة البحر الاحمر

كانت نتيجة الزيارة الثانية ان جاء البرنس برسالة ثانية بخط الامبراطور فيها قبولهُ للتخلي عن الترنتينو لايطاليا ومعها رسالة اخرى من الكونت تشرنين عن التعويض المذكور ختمت بقولهِ ان النمسا مستعدة لعقد صلح منفرد . وكان رأي الامبراطور ان يتولى المفاوضات المعتمدون السياسيون

وفي ٢٠ مايو اجتمع البرنس بالمسيو بوانكاره في قصر الاليزه وحضر هذا الاجتماع المسيو ريبو وكان لايساً على عينيهِ نظارات صفراء « لا تريهِ من الامور سوى المصاعب » اما المسيو بوانكاره فكان موافقاً على متابعة المفاوضات رغماً عن اعتقاده بصعوبة اقناع ايطاليا بالتخلي عن مستعمرة من مستعمراتها لقاء الترنتينو وفي نهاية الاجتماع قال البرنس سكست للمسيو بوانكاره انهُ ينتظر جواباً صريحاً عن خطاب الامبراطور وانهُ سيزور المستر لويد جورج ليرى ما يكون جوابهُ

اما المستر لويد جورج فكان من رأيهِ ان المعتمدين السياسيين يضيعون الوقت سدى لانهم غير مفوضين من حكوماتهم ليبتوا في الامور الكبيرة ولذلك اقترح ان يجتمع هو والمسيو ريبو وملك ايطاليا بالكونت تشرنين وذلك لاعتقادهِ ان آراء ملك ايطاليا اقرب الى التساهل من آراء وزيرهِ الاول. فقال البرنس سكست ان ذلك صعب جداً بسبب الموقف الذي اتخذهُ المسيو ريبو لكن جواب ايطاليا على اقتراح المستر لويد جورج لعقد ذلك المؤتمر جاء من الوزير الاول البارون سونينو وكان غير صريح فارسل المستر لويد رسولاً خاصاً الى ايطاليا ليأتي بجواب صريح فجاء ان الحكومة الايطالية لا تستطيع تعيين الموعد . فغادر البرنس لندن ووعدهُ المستر لويد جورج بموافاتهِ بجميع الاخبار حالما يجتمع وزراء الحلفاء لكن ذلك الاجتماع لم يعقد حينما

كانت مسألة الصلح المنفرد مع النمسا لا تزال مفتوحة للمناقشة وفي ٥ يونيو سنة ١٩١٧ عاد البرنس سكست الى مكانه في الجيش البلجيكي في فرقة المدفعية وفشلت مساعيه لعقد صلح منفرد بين النمسا والحلفاء لكن خوفهُ الاكبر كان من اشتهار هذه المفاوضات فتفضح الامبراطور صهرهُ

سقطت وزارة ريبو وتبعهُ المسيو بانليفه ثم استقال بعد قليل فتسلم مقاليد الامور المسيو كلنصو فاحيا رواح التفاؤل بالانتصار وبثَّ في هم الجنود والقواد حياة جديدة . وحين تسلم الوزارة كانت تدور مفاوضات غير رسمية بين فرنسا والنمسا على عقد صلح منفرد لا علاقة لها بمفاوضات البرنس سكست لكنها لم تؤدِ الى اتفاق ما. وعرف النمسويين والالمان ان المسيو كلنصو بثَّ في فرنسا حياة جديدة فارادوا ان يسقطوا وزارتهُ بكل الوسائل لعلمهم بضعفون القوة المعنوية في فرنسا فينتصرون عليها فالقى الكونت تشرنين خطاباً قال فيهِ ان المسيو كلنصو طلب الى النمسا ان تتفاوض مع فرنسا لعقد صلح منفرد على مبدإ ارجاع الالزاس لورين اليها

سمع المسيو كلنصو بهذا الخطاب وهو في ساحة الحرب ولم يكن قد اطلع على المفاوضات التي دارت مع البرنس سكست والامبراطور شارل فابرق الى باريس يقول «لقد كذب تشرنين» وحالما اطلع على اوراق المفاوضات المذكورة المحفوظة في وزارة الخارجية هدَّد الحكومة النمسوية بنشرها فنادى الكونت تشرنين في عنادهِ حتى ضاق المسيو كلنصو ذرعاً فنشر صورة الخطابين المرسلين من الامبراطور فاجاب تشرنين انهما مكذوبان يقصد ان البرنس حرفهما واعطى لصحيفتين محررتين منهما لوزارة الخارجية فلم يبقَ للمسيو كلانصو سوى نشر صورة فوتغرافية لها ولكنهُ لم يستطع ان يفعل ذلك لان الصورتين الاصليتين بقيتا مع البرنس سكست والبرنس لم يسمح بهما . ولما اوضح لهُ المسيو كلنصو ضرورة ذلك كتب اليهِ قائلاً انحني امام الضرورة التي تصفها لكن التضحية مرة جداً لاني وعدت بشرفي ووعدت الحكومة الفرنسوية ايضاً ان تكتم خطاب الامبراطور شارل

وكان الامبراطور شارل شهماً فاراد ان يخلص ابن عمهِ من الورطة التي اوقعهُ فيها تشرنين بعنادهِ حين اتهمهُ بالتزوير فصرَّح قائلاً ان الامبراطور يعرف البرنس سكست بوربون ويثق بأمانته كل الثقة . وفي اليوم ذاتهِ استقال الكونت تشرنين من رآسة الوزارة النمسوية . ولم يسمح البرنس سكست بنشر صورة فتوغرافية لهذين الخطابين الا بعد انتهاء الحرب وانعقاد الصلح العام